أثر البيان القرآني في رسائل القاضي الفاضل

أثر البيان القرآني في رسائل القاضي الفاضل

*الدكتور / سيف محمد سعيد المحروقي

ملخّص

يهدّف هذا البحث إلى دراسة الاقتباس القرآنيّ في نماذج من رسائل القاضي الفاضل، وقد بيّن أنّ القرآن الكريم بألفاظه ومحكم آياته وقصصه وصوره كان نصًّا مرجعيًّا لصناعة الترسّل لدى القاضي الفاضل، فقد اقتبس في رسائله آياته على نحو مباشر وغير مباشر، واستوحى قصصه، واسترفد كثيرًا من صوره، وقد أبدى الفاضل إجادة واضحة في استدعاء النصوص القرآنيّة، فجاءت اقتباساته منسجمة مع نصوصه النثريّة، متواشجة معها، مستقرّة في مكانها، ممّا بثّ فيها روحًا دينيّة عميقة، ولا سيّما في تلك الرسائل المرتبطة بأحداث الصراع مع الفرنجة .

الكلمات المفتاحية : البيان القرآني رسائل القاضي الفاضل

*أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية في جامعة الإمارات العربية المتحدة، ورئيس القسم. اسم الشهرة(د. سيف المحروقي)

أثر البيان القرآني في رسائل القاضي الفاضل

المقدمة:

يُعدُّ القرآن واحدًا من أهمّ العناصر الفنيّة لصناعة الترسّل في الأدب العربيّ، وذهب ابن الأثير إلى أنّه على الكاتب أن يحفظ كتاب الله؛ "فالكاتبُ إذا كان حافظًا للقرآن يستطيع أن يضمّن كلامه بالآيات في أماكنها اللائقة بها، واستعمالها في مواضعها المناسبة لها، ولا شبهةَ فيما يصير للكلام بذلك من الفخامة والجزالة والرونق... [1]"، لذلك حثّ ابن الأثير المتأدبين المقبلين على صناعة الكتابة على حفظ آيات القرآن الكريم وتدبّر معانيها وأسرار نظمها قائلاً: " فعليك أيّها المترشّح لهذه الصناعة بحفظه، والفحص عن سرّه وغامض رموزه وإشاراته، فإنّه تجارة لن تبور، ومنبع لا يغور، وكنزٌ يُرجَع إليه، وذخر يعوّل عليه [2]" ويقول في موضع آخر " واعلم أن المتصدي لحلّ معاني القرآن يحتاج إلى كثرة الدرس، فإنه كلما ديم على درسه ظهر من معانيه ما لم يظهر من قبل، وهذا شيء جربته وخبرته، فإنّي كنت آخذ سورة من السور وأتلوها، وكلّما مرّ بي معنى أثبته في ورقة مفردة، حتى أنتهي إلى آخرها، ثم آخذ في حلّ تلك المعاني التي أثبتها واحداً بعد واحد، ولا أقنع بذلك حتى أعاود تلاوة تلك السورة، وأفعل ما فعلته أولاً، وكلّما صقلتها التلاوة مرّة بعد مرّة ظهر في كل مرّة من المعاني ما لم يظهر لي في المرّة الّتي قبلها. وسأورد في هذا الموضع سورة من السور، ثم أردفها بآيات أخرى من سور متفرقة، حتى يتبين لك أيّها المتعلّم ما فعلته فتحذو حذوه [3]".

وتسعى هذه الدراسة إلى بيان أثر القرآن الكريم في رسائل القاضي الفاضل، وغنيّ عن البيان الحديث عن المكانة الأدبيّة والسياسيّة لهذا الكاتب في دولة صلاح الدين الأيّوبيّ، حتّى قال عنه معاصره أبو شامة المقدسيّ : «كان ذا رأي سديد وعقل رشيد، معظّماً عند السلطان صلاح الدين، يأخذ برأيه ويستشيره في الملمّات، والسلطان له مطيع، وما فتح السلطان الأقاليم إلا بأقاليد آرائه، وكانت كتابتُه كتائبَ النَّصر [4]» ووصفه عمارة اليمنيّ بأنّه"شجرة مباركة متزايدة النماء أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها [5]" ، ونعته العماد الكاتب بأنّه " ربُّ القلم والبيان واللّسن واللِّسان [6]" وَعَدَّه ابنُ تغري بردي "إمام عصره ووحيد دهره [7]". بل إنّ صلاح الدّين عدّه سببًا قويًّا من أسباب انتصاراته على الفرنجة فقال فيه:" لا تظنُّوا ملكتُ البلاد بسيوفكم بل بقلم القاضي الفاضل [8]".

وقد اتّكأ الفاضل في ترسّله اتّكاء واضحًا على القرآن الكريم في توليد معانيه وبناء عباراته وابتكار صوره، على نحو يدلّ على أنّ المادّة القرآنيّة كانت أصلاً رئيسًا من أصول فنّ الترسّل لديه، وقد أشار نفسه إلى ذلك، فعندما أتى مصرَ وقدّم نفسه للموفّق بن الخلّال قال له: " ما الّذي أعددت لفنّ الكتابة من الآلات؟ فقلت: ليس عندي شيء سوى أنّي أحفظُ القرآن الكريم، وكتاب الحماسة، فقال: في هذا بلاغ، ثمّ أمرني بملازمته [9]".

وسوف تتناول هذه الدراسة أثر البيان القرآني في رسائل القاضي الفاضل من خلال المحاور التّالية:

- الاقتباس المباشر.
- الاقتباس غير المباشر.
- استدعاء القصص القرآني.
- استلهام الصُّوَرِ القرآنية.

الاقتباس المباشر:

تشير المصادر إلى أنَّ الاقتباس هو "أنْ تُدرج كلمة من القرآن الكريم أو آية في الكلام تزييناً لنظامه، وتفخيماً لشانه [10]"،والاقتباس المباشر هو أن تُدرج الآية الكريمة بنصّها في السياق الأدبيّ، دون أن يُجري الكاتب تغييراً على النصّ القرآنيّ. وهذا النوع من الاقتباس يكون ظاهراً، ويصل إلى درجة التنصيص، ويسهل تمييزه وغالباً ما يكون مسبوقاً بفعل مشتقّ من "القول"، أو ممّا هو مرادف له في المعنى، ويأتي في أكثر الأحيان متصلاً بالسياق الكلامي الحاضن له، ومندمجاً فيه [11].

وقد أكثر القاضي الفاضل من الاقتباس المباشر من القرآن الكريم في رسائله، وكان يفعل ذلك إذا أحسّ أنّ النصّ القرآنيّ يعبّر بأحسن الطرق عمّا يريد أن يقوله؛ وقد يأتي هذا الاقتباس قي مفتتح الرسالة أو في أثنائها؛ فمن ذلك الرسالة التي كتبها يبشّر الخليفة العبّاسيّ بفتح بلاد النوبة سنة 586هـ[12]، فقد استهلّها بثلاثة اقتباسات مباشرة من آي الذّكر الحكيم، أمّا الآيةُ الأولى فقوله تعالى: ((ولقد كتبنا في الزّبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها من عبادي الصّالحون [13])) فقد جاء هذا الاقتباس منسجمًا مع السياق العامّ للرسالة، فالآية الكريمة تتحدّث عن وعد إلهيّ بانتصار الحقّ على الباطل، ويرى الفاضل أنّ هذا الوعد قد تحقّق على يد صلاح الدين في هذا الفتح الذي ترتب عليه بسط السيطرة على بلاد النّوبة [14]. وأمّا الاقتباس الثّاني فقوله تعالى: ((سلامٌ قولاً من ربّ رحيم [15])) وهو يحمل معنى التحيّة: تحيّة أهل الجنّة في القرآن، وتحيّة الخليفة في الرسالة، وحتّى يُفهم الاقتباس على نحو دقيق لا بدّ من استدراج الآيات السابقة له: ((إنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ [16]))، وإذا أُسقط المعنى على الرسالة فإنّه يشير إلى السرور الّذي غمر الأمّة بهذا الفتح. وأمّا الاقتباس الثالث فقوله تعالى :((فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ [17]))، والآية تشير إلى الثواب الذّي أعدّه الله تعالى لعباده المقرّبين يوم القيامة، ولكنّ الفاضل نقل ذلك إلى معنى آخر وهو تصوير حالة الانتشاء والفرح بهذا النّصر؛ والاقتباسات الثلاثة في جملتها إنّما تعظّم هذا النّصر وتبيّن أهميّته، وبالتالي الثناء على الملك الناصر صلاح الدين الذي تحقّق النصر في عهده الميمون.

وجاء في سياق الرسالة اقتباسات مباشرة أخرى، كما في قوله: ((وكانت المشاهدة لأنواره العليّة الّتي يودّها، ومن يُقرنُ بفرض الله سبحانه فرضُها، ويسابقُ بطاعته إلى جنّة وصفها اللهُ بقوله" وجنّة عرضها"، يلثمُ وجه

ترابها، ويرى على بعد ترابها الأنوارَ الّتي تُرى بها [18]"، فالفاضل يقتصّ قوله تعالى" وجنّة عرضها" ويترك للقارئ أن يكمل من محفوظه قوله تعالى: " السماواتوالأرض أُعدّت للمتّقين" وقد جاء هذا الاقتصاص حتّى يحقّق الفاضل السجع فيفواصل جمله النثرية (فرضها=عرضها)، أمّا من حيث الدلالة فإن الاقتباس يضفي هالة دينيّة على الخليفة، فطاعته سبيل إلى الجنّة، وصلاح الدين يحقّق بهذه الفتوحات طاعة الخليفة ورضاه.

وحين يصف الفاضل جموع الأعداء الذين احتشدوا لقتال جند صلاح الدين، ينعتهم بالضلال واستغواء الشيطان لهم، ويعضد وصفه بآي من الذكر الحكيم، وذلك إذ يقول: "وبعد ذلك تحاشدت أولياء الذاهبين وتنادت، وتساعَتْ نحو مستقرّ المملوك وتعادت" وإذ زيّن لهم الشيطانُ أعمالهم، وقال لا غالب لكم اليوم من النّاس، وإنّي جارٌ لكم، فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه، وقال إنّي برئ منكم[19]"[20].

ومن الرسائل الّتي استدعى فيها القاضي الفاضل بعض آيات القرآن الكريم استدعاء مباشرًا رسالته الّتي كتبها إلى الديوان العزيز ببغداد يذكر فيها الفتوح على يد رشيد الدين البوسنجي في جمادى سنة 583هـ، فقد احتضنت رسالته آي الذكر الحكيم في ستة مواضع، من ذلك قوله يصف تحصّن الأعداء خوفًا من جند صلاح الدين واحتماءهم بالحصون والأماكن المرتفعة:" ولم يبق من الكفّار إلاّ متعلّق بذؤابة] حصن [21]]أو ثنيّة ثغر ((لا عاصم اليوم من أمر الله [22])) إذا جاء أمره، وحاق مكرُه بكلّ ذي مكر [23]". فاحتماء الأعداء بالحصون ورؤوس الجبال أوحى إلى الفاضل على سبيل المماثلة أن يستحضر الخطاب القرآنيّ الّذي يشير إلى جهل ابن نوح الذي توهّم أنّه لو آوى إلى جبل فسينجو، لظنّه أنّ الطوفان لا يصل إليه، وكذلك هؤلاء الأعداء فإنّ حصونهم وجبالهم لا تعصمهم من جند الناصر صلاح الدين.

وجاءت بعض الاقتباسات في الرسالة متعاشقة مع النصّ النثريّ تركيبًا ودلالة، كما في قوله: "وأرجو من الله سبحانه أن يؤيّد الشريعة المحمديّة، ويبوّءنا من الكفر دارًا، ويستجيب الدعوة النوحيّة: ((لا تذَرْ على الأرض من الكافرين ديّارا[24]))"[25]، فالاقتباس القرآنيّ كان نقطة الثقل والجذب في هذه الفقرة، فقد بنى أسجاع الفقرة على فاصلة الآية، واختلس التدرّج إليها فجاءت الآية الكريمة مستقرّة في مكانها متلبّسة في النسيج النّثريّ.ومن الاقتباسات الّتي تواشجت مع النسيج التركيبيّ والدّلاليّ للرسالة، ووجد فيها الفاضل ما يعبّر عن المعنى الذي يريده أحسن تعبير وأبلغه ما ورد في قوله يصف مصارع الأعداء مستدعيًا ما ورد في سورة (الحاقّة) في تصوير مصارع قوم ثمود:" والخادمُ يشرح من نبأ هذا الفتح العظيم، والنصر الكريم، ما يشرح صدور المؤمنين، ويمنح الحبور لكافّة المسلمين، ويورد البُشرى بما أنعمَ الله به من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر إلى يوم الخميس مسلخه، وتلك سبع ليال وثمانية أيّام حسومًا سخّرها على الكفّار((فترى القوم فيها صرعى كأنّهم أعجاز نخل خاوية[26]))"[27].

ويلجأ القاضي الفاضل إلى الاستهلال بآية قرآنية في مواضع معينة كالتعزية، كما في الرسالة التي وجهها إلى الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين زنكي يعزيه بوالده، فيفتتح رسالة التعزية بقوله تعالى ((لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ [28]))، أنزل الله الصبر ، وضاعف التأييد والنصر، وأطلع الزمن النَّصر بالجناب العالي الملكي الصالحي[29]".

وقد يأتي الاقتباس المباشر مسبوقًا بفعل مشتقّ من (القول)، ويكون هذا الضرب من الاقتباس في أغلب الأحيان على سبيل الاستشهاد لتأكيد الدلالة والإيحاء بمعنى يقصده الكاتب، كما في الفقرة التالية المقتطفة من رسالة وجّهها الفاضل إلى صلاح الدين عندما شعر بعض الجند المسلم بالضّجر لتطاول الحصار حول عكّة، فقال الفاضل معتذرًا عنهم، حاثًّا صلاح الدين إلى العفو عنهم، مقيمًا نوعًا من المشابهة الدلاليّة بين موقف الجند المسلم المحاصر لعكة، وموقف بعض الجند المسلم الّذين تخلّفوا عن النبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم وخالفوه في معركة أحد. يقول الفاضل: " وعسكرنا لا يشكو بحمد الله خورا، وإنّما يشكو منه ضجرا، والقوى البشريّة لا بدّ أن يكون لها حدٌّ، والأقدار الإلهيّة لها قصد... وإنّما ذكر المملوك هذا ليرفع المولى من خاطره مقتَ المتقاعس من رجاله، كم يثبت فيه شكر المسارع من أبطاله، قال الله تعالى:((فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر[30])) " [31].

الاقتباس غير المباشر:

وقد يأخذ الاقتباس من القرآن الكريم صورة أخرى تتمثّل في استحضار الآيات القرآنيّة وتمثّلها وتحويرها ودمجها في السياق النثريّ، بحيث تلتحم به،وتُلغى المسافة بين قوله النثريّ والنصّ المقتبس، مع بقاء بعض الرواسب اللفظيّة من الآية أو الآيات. وقد كثر هذا النوع من الاقتباس في الرسائل الفاضليّة، وتفنّن القاضي الفاضل فيه، وقدّم صوراً متعدّدة منه. من ذلك ما ورد في الكتاب الذي أرسله إلى سيف الإسلام في اليمن مبشّرًا له بفتح حصون كوكب وصفد والكرك سنة 584هـ، فقد عمد الفاضل إلى استدعاء قوله تعالى((أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ[32])) ، ونقل الآية من معناها الأصليّ الدالّ على وصف الأوثان التي تُعبد من دون الله، وهي لا أرواح فيها ولا تملك ضرًّا ولا نفعًا، ومنح هذا الوصف–على سبيل السخرية– للفرنجة الّذين ماتوا رعبًا من المسلمين، ولم يشعروا بالأمن على الرغم من احتمائهم بحصونهم، يقول:"وما هم بحمد الله في حصن يحميهم، بل في سجن يحويهم، بل هم أسارى وإن كانوا طلقاء، وأموات وإن كانوا أحياء [33]". وعندما صوّر الفاضل في الرسالة نفسها منعة حصن كوكب وارتفاعه الشّاهق، وأهميّته العسكريّة التفت إلى القرآن الكريم، كما يظهر من قوله: " وأنّ الفرنج–لعنهم الله–كانوا يقعدون منه مقاعد للسمع، ويتبوّءون منه مواضع للنفع [34]" ، فالصياغة النثريّة تستحضر قوله تعالى((وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الآن يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا[35])) استحضارًا غير مباشر، وقد انحرف الفاضل في اقتباسه عن المعنى الأصليّ للآية الكريمة التي تتحدّث عن الجنّ الّذين كانوا يتّخذون من السماء مواضع ليستمعوا إلى أخبارها، ووجّه الآية في رسالته لتدلّ على علوّ حصن كوكب، والخطورة

الّتي كان يمثّلها على ديار الإسلام. وهذا الاستحضار المدروس للنصّ القرآني كان له تأثير في بناء الجملة في الفقرة المستشهد بها؛ فالآية الكريمة بدأت بـ(أنّ واسمها متلوّة بالفعل كان)، وكذلك بدأت الفقرة السابقة، واستُكملت الآية الكريمة بقوله تعالى:(فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا)، وقد حاكى الفاضل البنية التركيبيّة لهذه التّكملة الكريمة فقال بعد الفقرة السابقة: " والآن ما أمن بلاد الهرمين بأشدَّ من أمن بلاد الحرمين [36]". ويستند الفاضل في الرسالة ذاتها إلى المرجعيّة القرآنية حين يصف الأمن الّذي نعمت به بلاد الشام بعد هذه الفتوح، فيقتبس أوصاف الجنّة ويمنحها لبلاد الشام وذلك في قوله: "وإنّ بلاد الشام اليوم لا تسمع فيها لغوًا ولا تأثيما إلاّ قيلاً سلاماً سلاما[37]". ولما كان نزول المسلمين على حصن كوكب شتاء فقد وصف الفاضل الأمطار الغزيرة الّتي هطلت من السّماء، وتدفّق الوديان بلجج المياه التي كانت تتواثب، ملتفتًا إلى آي الذكر الحكيم في هذا الوصف. يقول: "والأوديةُ قد عجَّت بمائها، وفاضت عند امتلائها، وشمخت أنوفها سيولاً، فخرقت الأرضَ، وبلغت الجبال طولا [38]". ، فالنصّ النثريّ يتواشجُ مع قوله تعالى: ((إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا [39])) ، وليس ثمّة علاقة معنويّة بين النصّ القرآنيّ والمنتج النثريّ؛ فالنصّ القرآنيّ يبكّت المختالين المستكبرين في الأرض، والنصّ النثري يصف قوّة السيول وتدفّقها.

وقد يحتذي القاضي الفاضل الآية أو الآيات القرآنيّة بدقّة لا بأس بها، ثمّ إنّه يجد الإضافة إليها عن طريق الإطناب تؤكّد موقفه، كما في رسالته التي وجّهها إلى صلاح الدين وقد احتشد الفرنجة لحربه، يقول: "وقد جمع العدوُّ لنا وقيل لنا: اخشوه، فقلنا: حسبنا الله ونعم الوكيل، متنجّزين بذلك موعود الانقلاب بنعمة من الله وفضل، فما نرجو إلاّ ذلك الفضل العظيم [40]"، فهذه الفقرة إنّما هي حلٌّ واضحٌ لقوله تعالى، مع الحفاظ على الدلالة القرآنيّة الأصليّة: ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ(173) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174))[41].

ومن الرسائل الّتي أكثر فيها الفاضل من الاقتباس القرآنيّ غير المباشر والمباشر الرسالة الّتي كتبها إلى الملك الصالح إسماعيل بن نور الدّين محمود زَنكي يعزّيه بوفاة والده، وقد بدت الرسالة في كثير من مقاطعها فسيفساء من آيات قرآنيّة صيّرها الكاتب منسجمة مع فضاء رسالته ومع مقاصده، من ذلك ما ورد في قوله معزّيًا الملك الصالح ومثبّتًا[42]: " وبصّره اللهُ بمحجّة التّذكير والاستبصار، وأخلصه بخالصة ذكرى الدّار، وألهمه تدبّر قوله ((إنّما هذه الحياة متاع وإنّ الآخرة هي دار القرار [43]))"، وقوله: "... ولكنّه القدر الّذي يتجرّأُ على الجازع والصّابر، والمشرع الّذي يؤلّف بين الوارد والصادر، والقضاء الّذي يسوق الخلق إلى الصعيد الواحد، والموعد الّذي لا يجزي فيه ولدٌ عن والد، ولا مولود هو جازٍ عن والده، حتّى يرث الله الأرضَ ومن عليها، ويعيد الخلق منها إليها، ويتوفّاهم في بطنها كما أحياهم على ظهرها... [44]"، وقوله: " وأمّا العدوّ خذله الله، وما تحدّث به نفسُه في هذه الحادثة من الغارة،

فما يُخشى من أن يغشى سروج الإسلام الغارة، فوراءه من الخادم من يطلبه طلبَ ليلٍ لنهار [45]". وقوله:" أصدر هذه الخدمة يوم الجمعة رابع ذي القعدة، وهو اليوم الذي أقيمت فيه الخطبة بالاسم الكريم، وصرّح فيه بذكره في الموقف العظيم، والجمع الّذي لا لغوٌ فيه ولا تأثيم[46]".

فالنصُّوص النثريّة في الأمثلة السابقة تمتصّ بعض الآيات القرآنيّة بطريقة عفويّة أو موهمة بالعفويّة، وذلك لخفاء الصنعة الفاضليّة، حيث تسرّبت فيها الآيات القرآنيّة التّالية:((إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ [47])) ، وقوله تعالى:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا [48])) ، وقوله:((قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ [49]))،وقوله:((... يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا...[50]))، وقد تصرّف الفاضل في هذه الآيات بالحذف والإضافة والتقديم والتأخير وبثّها في نصّه النثريّ، والتحمت في سياقه، وبدت كأنّها منه ؛ لقوّة الملاءمة والانسجام معنى وتركيبًا، وهدفت هذه المتعاليات النصيّة إلى التعزية والمواساة عن طريق إيقاظ الشعور الدينيّ في نفس المخاطب.

وتتزاحم الاقتباسات غير المباشرة في كتاب وجّهه الفاضل إلى الديوان العزيز بعد الانتصارات التي حققها صلاح الدين سنة 583هـ، فقد ورد في الرسالة على قصرها عدد من الاقتباسات، منها: " وإنّ الكفر قد تداعت بناه، وانحلّت عُراه، وأتى الله ببنيانه من قواعده، وحلّه من معاقده، وقد جاء حقّ الإسلام، وزهق باطلُ الكفر [51]"؛ فهذه الفقرة إعادة إنتاج لقوله تعالى: ((قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ [52])) ، وقوله تعالى: ((وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا[53]))، فقد أذاب النصُّ النثريّ الآياتِ القرآنيّة، وحافظ على دلالاتها الأصليّة، ورسّخ المعاني الجهاديّة في الرسالة الفاضليّة. ويجد الفاضل في آي الذكر الحكيم ما يعبّر عن المعنى الّذي يريده حينما أشار، إلى إحاطة الخليفة بأخبار دولته، فاقتبس قوله تعالى: ((يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ [54]))، وحينما أشار إلى الهزائم الكبرى الّتي حلّت بالفرنجة وكثرة قتلاهم، وذلك إذ يقول: "فللإمامة المعظّمة يدان: يدٌ يقبضها التثبُّت، حتّى لا يخفى عن هداها خافية، ويد يبسطها النّصر، فلا يبقى من الكفر باقية [55]"؛ وواضح أنّه استعار قوله تعالى في تصوير مصارع قوم عاد بعد أن تصرّف في صياغته بالحذف والإضافة: ((فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ[56])).

وتتّسع مساحة الاقتباس القرآنيّ قي بعض رسائل القاضي الفاضل، ويتفنّن في استثمار النصّ القرآنيّ لتوليد المعاني وابتكارها(أو ما أطلق عليه في إحدى رسائله ثمرات الخواطر [57]) بعد أن يحوّر الآيات الكريمة لتلائم الجوّ العامّ الّذي يشيع في الرسالة، من ذلك الرسالة التي كتبها إلى الديوان العزيز في بغداد، وممّا ورد فيها قوله: " أُصدِرتْ هذه الخدمةُ وسيوفُ اللهِ قد جرّدها النَّصرُ، وأغمدها الدّمُ ...وكان أزرق الفجر قد طلعَ من أبيض السيف، والإسلامُ قد عَصَمَه من الله ملائكة، والشركُ قد مسّهُ من الشيطان طيف [58]" ؛ فعبارة " أزرق الفجر قد طلعَ من أبيض السيف" متولّدة لفظًا ومعنى من قوله تعالى: مع اختلاف واضحٍ بين الدلالة القرآنيّة والدلالة الفاضليّة:((

وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ[59])) وعبارة " والشركُ قد مسّهُ من الشيطان طيف" استحضار لقوله تعالى((إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ[60])) ، ولكنّ الفاضل فرّغ الآية من دلالتها الأصليّة وجعلها نعتًا للشرك الّذي استولى عليه الشيطان فاستحقّ عقوبة العصيان.

وحينما يعرّض الفاضل ببعض المسلمين الّذين تعاونوا مع الفرنجة في قوله: " ولئن أطال الخادم المقدّمة ليخلف ما يساعده من النتيجة، فإن كان قد نصره الله فبخلوص طاعته لوليّ أمره لا كالّذي اتّخذ من دون المؤمنين وليجة [61]"؛ فإنّه يلتفت إلى الرّفد القرآنيّ في قوله تعالى: ((...وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ[62]))، مع المحافظة على الدلالة الأصليّة للنصّ القرآنيّ.

ويلتفت القاضي الفاضل في رسالته التي كتبها إلى الديوان العزيز يصف فيها حال الفرنجة بعد تراجعهم في معركة حصن الكرك،واحتمائهم من سيوف المسلمين بالحصون" وأخذ فيها عدل السيف الجار بالجار، علم أن الفرنج قد تسللوا لواذا، وتعللوا بالحصون احتياجا ولياذا ، وأنهم لا يقاتلون إلا في قرى محصنة[63]"إلى قوله تعالى ((قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا)) وقوله تعالى ((لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ [64])) فيستحضر حال المنافقين الذين كانوا يتسللون واحدا تلو الآخر، ويشبه احتماءهم بالحصون وجبنهم عن مقاتلة المسلمين بيهود بني النضير الذين جاء ذكرهم في الآية، والقاضي الفاضل في هذا كله يذيب النص القرآني بما فيه من دلالات ومعان في النص النثري فيقيم أوشاجًا بين النّصين تحيل القارئ إلى معنى مخزون في ثقافته الدينية ليستحضر صورة تلك المشاهد فيسقطها على الحال التي يصفها القاضي الفاضل في زمانه.

استدعاء القصص القرآني:

ومن مظاهر الاقتباس القرآنيّ في ترسّل القاضي الفاضل استدعاؤه القصص القرآنيّ، حيث استمدّ منه كثيرًا من أفكاره ومعانيه وصوره،فقد أدرك هو وغيره من الكتاب " ما يحمله النص القرآني من طاقات إبداعية معجزة وخصائص فنية عديدة ترقى إلى أعلى مصاف الإبداع والإعجاز، فضلا عما تحويه من معان سامية وقيم نبيلة، ومفاهيم عظيمة تتصل بالإنسان والحياة والوجود والكون ، وما إلى ذلك [65]" ، وكان الفاضل يوائم بين الجوّ العامّ لرسائله والقصص القرآنيّ التّي يستدعيها. وقد سلك القاضي الفاضل في استدعاء القصص القرآني سبلاً متعدّدة، فكان يعمد أحيانا الاقتباس المباشر للقصة القرآنية وذلك بذكر الآية التي تضمنتها القصة القرآنية، كما في قوله من كتاب إلى وجّهه صلاح الدين من مصر يذكر له فيه ما اعتمده من قتل جماعة من المبتدعة في مصر: " قتل الله بسيف الشرع المطهر جماعة من الغواة والغلاة الدعاة إلى النار، الحاملين لأثقالهم وأثقال من أضلوه من الفجار، وشنقوا على أبواب قصورهم ، وصلبوا على جذوع النخل المواجهة لدورهم ،.. [66]" لقد استدعى القاضي الفاضل

الآية التي تشير إلى مصير السحرة في قصة موسى مع فرعون وما حل بهم من العذاب الشديد وصلبهم على جذوع النخل كما جاء في قوله تعالى حكاية عن فرعون ((قال لأصلبنّكم في جذوع النّخل ولتعلمنّ أيّنا اشدّ عذابا وأبقى[67]))وقد استعار الفاضل صورة العذاب والتنكيل التي مارسها فرعون ضدهم وأسقط هذه الصورة على تلك الجماعة الضالة الّتي خرجت على صلاح الدين. ويستدعي القاضي الفاضل من قصة إبراهيم عليه السلام ما يعضد به رسالته ، ففي تذكرة كتبها عن صلاح الدين وبعث بها على يد رسول الديوان ببغداد شمس الدين ابن الوزير أبي المضاء يشرح له فيها ما منّ الله به على المسلمين من الفتوح الإسلامية ، يقول :" وخرق الكفر في هذا الجانب خرقا ، فكادت القبلة أن يَستولي على أصلها ، ومقام الخليل صلى الله عليه وسلم أن يقوم به مَن نارُه غيرُ بردٍ وسلام ، ومضجع الرسول شرّفه الله أن يتطرقه بالفلق من لا يدين بما جاء به الإسلام [68] "، فالفاضل يشير هنا إلى قصّة سيدنا إبراهيم وتعطيل قدرة النار على الحرق حتّى صارت عليه بردا وسلاما، ولكنّه يوظّفها توظيفًا يوائم المقام النثريّ، فهو قَرَن هذه النار بنيران الحرب التي أشعلها الفرنجة، وهي نيران كادت تحرق المعالم الإسلاميّة، لذلك وصفها وصفًا مغايرًا للنار التي أضرمت لحرق إبراهيم، فقال إنّها(غير برد وسلام). وفي متن الرسالة ذاتها لا يغفل القاضي الفاضل على أن ينسج عرى الصلة الوثيقة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى فيوجه المسلمين على لسان صلاح نحو فتح بيت المقدس مستحضرا حادثة الإسراء والمعراج، يقول:" وبالجملة فالشام لا ينتظم أمره بمن فيه، وفتح بيت المقدس ليس له قرن يقوم به ويكفيه ، .. رأينا حسن الرأي ضربنا بسيف يقطع في غمده وبلغنا المنى بمشيئة الله تعالى ويد مؤمن تحت برده ، واستنقذنا أسيرا من المسجد الذي أسرى الله إليه بعبده [69]"، لقد عمد القاضي الفاضل وعلى لسان صلاح الدين إلى إعلام الخليفة ببغداد عزمه على فتح بيت المقدس وهو أولى قبلة المسلمين فكما منّ الله بالنصر وحماية بيضة الإسلام في بلاد الحجاز فإنّ الواجب يستنهضنا لاسترجاع بيت المقدس مسرى نينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ويستحضر القاضي الفاضل لقطات من قصة موسى عليه السلام، فحينما طلب فرعون من موسى أن يجعل موعدا ليتحدّاه اختار موسى يوم الزينة، وهو يوم كانوا يحتفلون فيه ويجتمعون ضحى [70]، وقد استعار القاضي الفاضل هذه اللقطة التصويريّة في كتابه إلى الوزير ظهير الدين بن العطار ببغداد يعلمه بزحف الجيوش صلاح الدين نحو مصر، وأنه – صلاح الدين – قد أعد العدة لذلك، وأن المسلمين احتشدوا للاحتفال بذلك، فجعل القاضي الفاضل هذا اليوم يوم زينة وعيد، فقد آمن الناس على أرواحهم وأموالهم ورفع عنهم المكوس ووعدهم أن يحميهم من بطش الفرنجة، ويلاحظ أن الفاضل استدعى لقطة من القصة تاركا للقارئ أن يستحضر ما قبلها دون التصريح بها ، فيقول :" ولما سار الخادم من دمشق إلى مصر، وللأعذار التي بينها وبناها على العزم، والأسباب التي أنهاها ونهى عن مخالفتها الحزم ، سار في لفيف من الخلق ، حُشر إليه الناس ضحى، وجمع من المسلمين ما لم تدُر للإسلام على مثلهم رحى [71]".

وتبدو براعة القاضي الفاضل في استدعائه للقصص القرآني من خلال تحوير المعنى عن أصله ، فينقل معنى الآية إلى معنى آخر يوظفه في رسالته لغايات جمالية ومعنوية ، فقد كتب رسالة إلى ابن العطار وزير الخليفة ببغداد يعلمه بفتح بيت الأحزان[72] ، وكيف أعد العدة لذلك ، وأنه فكّر مليا بالأمر قبل أن يقدم عليه ، وهنا يستدعي الفاضل جانبا من قصة زوجِ العزيز بمصر مع يوسف عليه السلام ، فيقول :" وأطاف الخادم حوله يقلبه تقليب المشتري ، ويتملّحه تملح المجتري ، ويبذل الرغائب في العزم في خطبة عقيلته ، ويراوده عن نفسه مراود الواثق بحيلته ، فرأى أن لا مهر من تقلد الأقدار التي لا مرد لأحكامها ، ولا طريق إلا إذا هان على الأنفس السفر عن أجسامها [73]" ، فالحصن في هذا النصّ تشخّص في صورة امرأة أطال صلاح الدين مراودته، فيستدعي ذلك طرفًا من قصّة سيّدنا يوسف مع امرأة العزيز الّتي فكّرت طويلا في طريقة الإيقاع بيوسف عليه السلام ، وأعدت لذلك عدتها ، وحاصرته في غرفتها ، وأحاطت به من كل صوب لتنال غايتها منه وتسلبه ، وتتجلى براعة القاضي الفاضل هنا حين يقابل بين الاستيلاء على الحصن ومحاولة ظفر زوج العزيز بيوسف فكلاهما صعب المنال ، وكلاهما سلب خلب الآخر ، وكل مُريد منهما سعى إلى الظفر بالآخر واتخذ كافة التدابير لذلك ، وإن كان يوسف عصيًّا على امرأة العزيز فإنّ الحصن لم يكن عصيا على صلاح الدين؛ فقد ظفر به بحنكته وخبرته القيادية .

ويستدعي القاضي الفاضل من القرآن قصة الطوفان في غير ما موضع من رسائله، ويقتبس منها مشاهد دالّة يوظّفها في التعبير عن أفكاره ومعانيه، فحينما حمل صلاح الدين على حصن عظيم بناه الفرنجة عند مخاضة الأحزان[74] ، وأشعل النيران فيه، فاحتمى الفرنجة من النار وفروا داخله فكتب الفاضل رسالة صوّر فيها هذا الفتح، ممّا جاء فيها: " وتحصنوا من نار الغضب بنار الحطب ، وقُطعوا بينهم وبين المسلمين بطوفان من نار كانت القلعة [سَفينَهُ[75]]إلا أنّها لا سفينة نجاة بل سفينة عطب [76] " ، لقد استعار القاضي الفاضل من قصة نوح وهلاك المكذبين من قومه بالطوفان ما يعزز دلالة نص الرسالة ويصور هول الموقف وما حل بالفرنجة ؛ ففي مقابلة فنية صوّر القاضي الفاضل حال الفرنجة واعتصامهم بالحصن هربا من النيران العظيمة بحال نوح عليه السلام وقومه حين احتموا بالسفينة هربا من الطوفان ، إلا أنّ القاضي الفاضل قد أخرج القصة القرآنية عن سياقها الحقيقي إلى سياق آخر مغاير تماما ، وقد عمد القاضي الفاضل إلى استحضار ذلك الشعور المهيمن على القارئ وهو يستدعي مشاهد الغرق والهلاك ، وإبحار السفينة في موج كالجبال في قصة الطوفان ، لينتقل به مع ذلك الشعور إلى مشهد إحراق أسوار الحصن واعتصام الفرنجة بالحصن ، فقد جعل القاضي الفاضل النار تقابل الماء والحصن يقابل السفينة والهلاك يقابل النجاة .

واستدعى القاضي الفاضل الحوار الذي دار بين نبي الله نوح عليه السلام وابنه ، حين فار التنور وغرقت الصحراء، فأراد نوح النجاة لابنه من الغرق ولكن ابنه أبى واستكبر فكان جوابه ((سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين [77]))، جاء ذلك في رسالة

كتبها على لسان صلاح الدين إلى الديوان العزيز ببغداد في ذكر المواصلة ، يقول:" ولم يبق للمواصلة إلا أن يأووا إلى جبل إلا أنه لا يعصمهم من الماء، ويتعلّلوا بسراب بقيعة لا متعلل فيه للأظماء [78]"، أراد القاضي الفاضل أن يفضح أمر المواصلة[79]، ويكشف دسائسهم، وأنه ما عاد يخفى على صلاح الدين مكرهم وحيلهم ، وأنهم لم تعد لهم عصمة ولا نجاة وأن العذاب واقع بهم ، وأنهم مهما علوا في المنزلة والمراتب إلا أن أمرهم مكشوف وسرهم مفضوح ، وقد استلهم القاضي الفاضل هذا المعنى من النهاية التي لقيها ابن نوح وأن محاولته النجاة ما كانت إلا عبثا ، وقد أراد القاضي الفاضل أن يحيل القارئ إلى قصة غرق ابن نوح على الرغم من محاولته الاعتصام بجبل عالٍ إلا أن هذا لم يجد نفعا فكان من المغرقين ، وأن هؤلاء المواصلة وإن كانت لهم حظوة ومنعة إلا أنهم سيلقون ما لقيه ابن نوح من الهلاك حيث لم تنفعه صلة الرحم (إنه عمل غير صالح).

ويبثّ الفاضل خلال ألفاظ قرآنية وردت في قصة نوح عليه السلام وذلك في رسالة كتبها على لسان صلاح الدين يبشر بفتح حطين كثيرًا من الألفاظ والتعابير القرآنيّة المستوحاة من قصّة سيّدنا نوح عليه السلام وذلك إذ يقول: " صدرت هذه البشرى ودماء الفرنج على الأرض وقيل لها ابلعي، وعجاجهم في السماء وقيل أبلعي ، وفاض ماء النصال ، وغاض ماء الضلال [80]" إن هذه الإحالة إلى قصة نوح والطوفان فيها من الدلالات ما تغني عن العبارات ، فالقارئ يعلم ما حل بقوم نوح وأن الله بعد أن أهلك الظالمين أمر السماء أن تقلع عن المطر وأمر الأرض أن تبلع الماء ونجا نوح ومن معه من المسلمين ، فجاء هذا المعنى متوافقا مع البشارة بفتح حطين حيث أهلك الله الفرنجة واستقرت سفينة الفتوحات على أرض لم يبق فيها أحد من الظالمين.

واستدعى القاضي الفاضل في إشارة غير مباشرة قصة هلاك قوم صالح عليه السلام في رسالة كتبها إلى الديوان العزيز يذكر فيها الفتوح على يد رشيد الدين بوسنجي ، فيقول :" ويورد البشرى بما أنعم الله به من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر إلى يوم الخميس مسلخه ، وتلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما سخرها الله على الكفار ((فترى القوم فيها صرعى كأنّهم أعجاز نخل خاوية [81]))[82] ، فاستحضار القاضي الفاضل لأمر الله في قوم صالح وما حل بهم من العذاب والتنكيل يخلق لدى القارئ حالة من المماثلة بين المشهدين ، فيستقر في ذهنه أنّ ما أصاب الفرنجة من العذاب والتنكيل إنّما هو أمر ألهي ، وأنّ هذا نصر مؤزّرٌ من الله لعباده المتقين .

وكتب القاضي الفاضل رسالة عن صلاح الدين إلى ابن منقذ وهو في المغرب ، وكان صلاح الدين قد أرسله إلى الملك يعقوب المنصور الموحدي في المغرب يطلب منه نجدة بحرية ، وكان للملك يعقوب المنصور أسطولا بحريًّا هائلا[83]، فكتب يقول:" فإن للإسلام نظرات إلى الأفق الغربي يقلبها ، وخطرات من اللطف الخفي يقرّبها ، ويكفي من حسن الظن أنها نظرة ردت الهوى الشرقي غربا ، وخَطْرة أوهمت أن تلك الهمة لو لم تلمّ بحد السفائن حدا ((يأخذ كلَّ سفينة غصبا [84])) ، وما هي إلا ركائب نيبُ والله يطوي له البعيد ، ويزوي له الأرض ، ويسكن

له البحر، ويبعث له النصر [85] ". فالقاضي الفاضل يستحضر جانبا من قصة نبي الله موسى مع الخضر ، فحين برّر الخضر خرقه للسفينة بأن هناك ملك عظيم يستولي على كل سفينة صحيحة غصبا ، فيفهم من السياق أن هذا الملك يمتلك سفنا كثيرة ، لذا فإن القاضي يشير إلى أن ملك المغرب يعقوب المنصور قوي ويمتلك سفنا كثيرة، ويمكنه أن يمدنا بما نحتاج إليه منها .

وفي رسالة فاضلية أخرى يمتدح فيها العماد استدعى قصة موسى حين سأل اللهَ أن ينظر إليه " فصدّرها بآية قرآنية تحكي قصة موسى مع ربه فيقول:" كما ((خَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ[86])) ، خلفه بدم من مدمع شوقه ، وخليق أن يكون ما يصدر عن تلك اليد مخلقا [87]"، فهنا استدعى القاضي الفاضل ما حصل لنبي الله موسى حين خر صعقا من هول الموقف ، حين تجلى رب العزة بهيبته وعظمته إلى الجبل فجعله دكّا ، ولعل القاضي الفاضل هنا أراد الإشارة إلى هيبة الممدوح وعلو منزلته وأن الألسن تخر عاجزة عن وصف محاسن العماد .

استلهام الصورة القرآنية :

إنّ الصورة عنصر بارز من عناصر العمل الأدبيّ، وأحد مكوّناته الرئيسيّة، فبها يُعبّر الأديب عن أفكاره ومشاعره، وهي تمنح الأدب الحيويّة، وتضفي عليه الجمال، وتبثّ فيه القوّة التأثيريّة في المتلقّي، وقد برع الفاضل في التصوير الفنيّ في ترسّله، وقد أشار الدارسون إلى براعة الفاضل في توليف الصور الحسيّة، وصياغة تشكيلات وصور معنويّة عمادها التشخيص [88]. ومن يقرأ رسائل الفاضل يلاحظ أنّه استمدّ صوره الفنيّة من مصادر متعدّدة، ما جعل هذه الرسائل في بعض جوانبها معرضاً لثقافته ومعارفه، ومجالا رحباً لصهر هذه المعارف في بوتقة صناعة الترسّل لديه. وكان القرآن الكريم رافدًا ثرًّا أمدّ الفاضل بفيض من الصور الّتي تعبّر عن معانيه ومشاعر؛ فقد كان الفاضل يستحضر الصور والتشبيهات القرآنيّة،ويعيد إنتاجها ليستخرج منها صورًا طريفة تبدو جديدة أو كالجديدة. من ذلك رسالته التي كتبها في قُدَيدٍ المصلوب في الإسكندريّة [89] ، مصوّراً خطره على الجماعة الإسلاميّة لما يبثّه من أفكار ضالّة: " وَوُجِدَتْ في منزله عند القبض له ، والهجوم عليه كتبٌ مجردة فيها خلع العذار، وصريح الكفر الذي ما منه اعتذار ، ورقاعٌ يخاطب فيها ما يقشعرّ منه الجلود، ويتصدّعُ له صمُّ الصخور ، وأنّ قُديد قبّحه الله إنما كان يتمّم ضلالته ويتلبس على الجهلاء فتنتَهُ بدعواه النسب إلى أهل القصر [90] "، فالصورة في الفقرة السابقة مركّبة من صورتين قرآنيّتين، الأولى"ما يقشعرّ منه الجلود" استلهمها من قوله تعالى:((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ [91])) ، والثانية"ويتصدّع له صمّ الصخور" مستلهمة من قوله تعالى:((ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(92))) ، وقد نقل الفاضل الصورتين عن معنييهما القرآنيّ الأصليّ، ووجّههما لبيان الخطر الّذي كانت تمثّله دعوة قُديدٍ القصّاص. يقول صاحب الكشاف في تفسير الآية الثانية (قصد به إظهار زيادة قسوة قلوبهم عن

الحجارة ، لأن هذا الأمر لغرابته يحتاج إلى بيان سببه، فكأنه – سبحانه – يقول لهم ، إن هذه الحجارة على صلابتها ويبوستها منها ما تحدث فيه المياه خروقاً واسعة تتدفق منها الأنهار الجارية النافعة ، ومنها ما تحدث فيه المياه شقوقاً مختلفة تنجم عنها العيون النابعة ، والآبار الجوفية المفيدة . ومنها ما ينقاد لأوامر الله عن طواعية وامتثال . أما قلوبكم أنتم فلا يصدر عنها نفع ، ولا تتأثر بالعظات والعبر ، ولا تنقاد للحكم التي من شأنها هداية النفوس[93]).

وقد يستعير القاضي الفاضل التشبيه القرآنيّ لما يتضمّنه من دلالات ساخرة يسقطها على أشخاصٍ معاصرين له، من ذلك رسالة كتبها يصف جيشا للفرنجة وفيه أقوام من السودان فيقول :" وبها راجل من السودان يزيد على مئة ألف رجل كلهم أغنام ، أعجام ، إن هم إلا كالأنعام لا يعرفون ربًّا إلا ساكن قصره [94]" ' فهذا التشبيه يحيل القارئ إلى قوله تعالى((أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا[95])) ، فقد أراد الفاضل أن يبين ما عليه هؤلاء من الضلال والبعد عن الهداية فاستخدم صورة قرآنية تجسّد حالهم. ويقول الشوكاني في تفسيره لهذه الآية " إِنَّمَا كَانُوا أَضَلَّ لِأَنَّ الْبَهَائِمَ إِذَا لَمْ تَعْقِلْ صِحَّةَ التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ لَمْ تَعْتَقِدْ بُطْلَانَ ذَلِكَ، بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمُ اعْتَقَدُوا الْبُطْلَانَ عِنَادًا وَمُكَابَرَةً [96]" ، وهذا المعنى جاء منسجما مع وصف القاضي الفاضل للجموع التي انضّمت لجيوش الفرنجة .

ويستعير القاضي الفاضل من القرآن الكريم مشاهد ينقلها من معناها القرآني إلى معنى مغاير تماما، من ذلك قوله يصف معركة دارت رحاها بين جيش صلاح الدين وجيش الفرنجة في دمياط: " فإنهم نازلوها بحرا في ألف مركب مقاتل وحامل وبرا في مائتي ألف فارس وراجل، وحصروها شهرين يباكرونها ويراوحونها، ويماسونها ويصابحونها القتال الذي يصلبه الصليب ، والقراع الذي ينادي به الموت من مكان قريب [97]" ، فالصورة في قوله: "والقراع الذي ينادي به الموت من مكان قريب " متولّدة من قوله تعالى: ((وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ[98])) ، بيد أنّ الفاضل استبدل بكلمة (المنادي) كلمة الموت، ليجترح صورة جديدة تعبّر عن هول القتال وضراوته، مضفيًا على صورته معنًى يغاير المعنى القرآنيّ.

وتكثر مثل هذه الانزياحات في دلالات الصورة القرآنية في ترسّل الفاضل، ولعلّه وجد في هذه التجاوزات البيانية غايته في توليد الصُّوَر، من ذلك حديثه عن سرعة انقضاء العمر في قوله: " فالأولى تقليد المذكور جميع الولاية فإنّ دخول الأيدي المختلفةِ، عن الأعداءِ المتّفقة شاغل ، ويحتاج إلى مغرم ينفق فيه العمر بغير طائل ، فإن الأعمار ((تمرّ مرَّ السّحاب [99])) ، والعرض يومِضُّ وميض السراب [100]"، فهو يمثّل لسرعة انقضاء الأعمار بمرّ السحاب ، مستعيرا هذه الصورة من قوله تعالى ((وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ [101]))، مع انزياح واضح في دلالة الصورة الفاضليّة عن الدلالة القرآنيّة الّتي تصف الجبال، لا الأعمار.

ويستخرج القاضي الفاضل من قوله تعالى ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ [102])) صورة يصف فيها المواصِلة ويحذّر منهم ، فيقول: "ولم يبقَ للمواصة إلّا أن يأووا إلى جبل يعصمهم من الماء ، ويتعلّلوا بسراب بقيعة لا متعلّل فيه للأظماء[103] " ، ودلالة (سراب بقيعة) في الآية الكريمة ورسالة القاضي الفاضل متفقتان من حيث دلالتهما على توهم وجود الشيء إلا أنّ القاضي الفاضل وظّفها في سياق مغاير حيث شبّه حال المواصلة وانفضاح أمرهم بمن تعلق بالسّراب –أي النجاة – ظنًّا منهم أنهم ينجون.

ويستدعي القاضي الفاضل الصورة القرآنية في قوله تعالى ((واخفض جناحك للمؤمنين [104])) ، في رسالة كتبها جوابا إلى القوام بن سماقة وزير نور بن قرا أرسلان يحثه فيها على الرفق ولين الجانب بأصحابه فيقول :" ورد على خادم المجلسى السامي ، أدام الله ورود المسائر عليه ،.. كتاب كريم ملأ السمع بيانا و العين حسنا ، واليدج إحسانا ،... وأوجب على كل من تعلق بأهداب الآداب ، وسَجَلَ لباب الألباب أن يلقي السلاح ويخفض الجناح ، ويكفكف عن الجماح[105] " ، لقد أدرك القاضي الفاضل المعنى القرآني من الصورة التشبيهية التي ضربها الله مثلا في سور من القرآن الكريم [106]،حيث تجتمع كلها على معنى الرفق واللين، وذكر القرطبي في تفسير هذه الآية " واخفض جناحك أي ألن جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم ، وأصله أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم قبضه على الفرخ فجعل ذلك وصفا لتقريب الإنسان أتباعه[107]".

ويستحضر القاضي الفاضل في رسالة أخرى صورة خفض الجناح في معنى مغاير لما استحضره في الرسالة السابقة ، فيستخدمها للدلالة على الصُّلح ، ففي رسالة التذكرة على يد رسول الديوان ببغداد شمس الدين ابن الوزير أبي المضاء ، يتحدث عن الهدنة التي كانت بين صلاح الدين وصاحب قسطنطينية ، فيقول :" فأخذنا والحمد لله بكظمه وأقمناه على قدميه ، ولم يخرج من مصر إلى أن وصلتنا رسله في جمعة واحدة، نوبتين بكتابين ، ولك واحد منهما يظهر فيه خفض الجناح وإلقاء السلاح والانتقال من معاداة على مهاداة، ومن مناضحة إلى مناصحة [108]" .

ويستمدّ القاضي في رسالة إلى العماد الكاتب، صورا متتابعة من القرآن الكريم تنسجم مع معنى الرسالة والغاية منها ، وهي قوله تعالى ((ظلمات بعضها فوق بعض [109])) ، وقوله ((نورٌ على نور [110])) ، وقوله تعالى ((وله الجواري المنشآت في البحر كالأعلام [111])) ليركّب من هذه الآيات صفاتٍ يخلعها على الممدوح، فيقول " وصل حضرة سيدنا وإمامنا فلان الدين بوصائل لطفه ، وأعلى يده على غيظ الحسود ورغم أنفه ، .... كتاب جحدته إكبارًا له ولو كان إلى غيري ادّعيته ، تكثّرا به وتكبّرا بالذكر الّذي يبقيه ويبقي يد المذكور ،... واستضاء بتلك الأنفاس التي كانت الأنفس في ظلمات همّ بعضها فوق بعض كانت ((نور على نور [112])) ، وعرف

الجواري من جواري أقلامها ، التي في يدها وهي البحر كالأعلام [113]" ، فيصور الهم المتراكم بالظلمات بعضها فوق بعض ، وانفراجها بالنور ، وحركة الأقلام في الصحف بحركة السفن في البحار .

وقد صوّر الفاضل عجز الفرنجة عن الاستيلاء على البرج الذّبّان وكيف سلبت النيران أرواحهم وأشارت المصادر التاريخيّة إلى محاولة الفرنجة الاستيلاء على برج الذبّان وإخفاقهم في ذلك [114] ، وقد صوّر الفاضل هذه المحاولات البائسة مستوحيًا تصويره من القرآن الكريم:" وعملوا فيها الأبرجة الخشبيّة ، وقدموها إلى أبراج الثغر الحجريّة ، وخصوصا إلى برج يعرف بالذبّان ولكن حما ذباب السيف [115] من الذوبان ، ولم يقدروا أن يستنقذوه ، وضعفوا عنه بسلبهم أرواحهم الخبيثة ،((وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ [116]))"[117]؛فاسم البرج (برج الذبّان) استدعى عن طريق التداعي الحرّ قوله تعالى: (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه)، وقد ضرب الله تالى بهذه الصورة مثلا على بطلان عقيدة هؤلاء الكفرة وعجْز آلهتهم عن أن تسترد ما يسلبه الذباب منهم ؛ وجاء في تفسير هذه الآية : (فإن الذباب إن يسلب هذه الآلهة شيئا مما عليها من الطيب أو ما شابهه لا يستنقذوه منه شيئا [118]، وقد أقام القاضي الفاضل حالة من المماثلة بين هذه الصورة القرآنية وَسَلْبِ سيوف المسلمين أرواح الفرنجة فلا يستطيعون استرجاعها .

وقد يجعل القاضي الفاضل الصورة البيانية خاتمة للرسالة لتكون قريبة من ذهن القارئ وموجزة للمعنى، من ذلك ماكتبه إلى العماد الكاتب ليورِده على السلطان صلاح الدين يصف ما لقي في سفره إليه " ولقيت مما أنا محتاج إلى تدبيره ، ومع هذا إن يسّرَ الله النصرَ اندملت هذه الجراح ، ولو أنها من مشافهات الصفاح ، وإلا فإنّ الإسلام وأهله ((هشيما تذروه الرياح [119])) [120]"، فقد اتّكأ القاضي الفاضل على المعنى القرآني في الصورة التي ضربها الله مثلا لسرعة فناء الدنيا وتغير حالها ، فأسقط هذا الوصف القرآني على ما ستؤول إليه ديار المسلمين إن لم تتحقّق لهم الغلبة على الفرنجة.

ويستحضر القاضي الفاضل صورة الشهب وهي ترمي الشياطين في قوله تعالى((وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ [121])) ليوظفها في عدد من رسائله في دلالات مختلفة تنسجم وسياق الحديث ، فمن ذلك كتاب إلى ابن العطار [122] يمتدحه ويثني عليه ، فيقول :" وأطال يده على الحوادث ، وأطار نباه، وأطاب أبناه، ولا انفكّت سماء سعادته للناظرين مزينة، ومن شياطين الإنس بشهب الانتقام محصنة.."[123] فالصورة في أصلها قرآنيّة، بيد أنّ الفاضل فصّلها فجعل سعادة الممدوح سماء مزيّنة بكواكب أفعاله، ومحصّنة بشهبٍ، ولكنّها بشهبٍ أخرى، إنّها شهب البأس والانتقام.

ويستدعي كذلك القاضي الفاضل صورة الشهب من القرآن الكريم في رسالة أخرى ، فيقول :" واستدارت بهم رجال الجالشية تقذف شياطينهم بشهابها، وتهوي إلى أوكار أفئدتهم طيرُ نشّابها، وتجنيهم من القنا

والنشّاب ثمرَ الردى متشابها[124]" فيوظف الصورة القرآنية هنا في وصف لمشهد المعركةفيجعل ما يقذفه المسلمون من سهام نارية كأنّها شهب السماء تسقط على رؤوس الشياطين، وهو بهذا يستحضر لدى القارئ مشهدا مماثلا في قوله تعالى ((لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ [125])) في دلالة على أن هذه السهام النارية مؤيدة من رب العالمين ، ثميكمل القاضي الفاضلرسم لوحته في مشهد متكامل من الصور المتعاقبة والمتجانسة ،فيرسم صورة أخرى لهذه السهام وهي تتجه مباشرة نحو الفرنجة بالطير التي تهتدي إلى أوكارها في إشارة خفية إلى دقة إصابتها الهدف، ثم يستدعي الفاضل صورة أخرى تتبع الصورتين السابقتين، فيصور هذه السهام النارية وهي تقطف أرواح الفرنجة باليد التي تقطف الثمر فتختار أحسنها ولا تخطئها، واستدعاء الفاضل لكلمة (متشابها) تحيل القارئ إلى قوله تعالى ((كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (126)) ، وجاء في تفسير هذه الآيةبأنه يؤتى أحدهم بالصحفة من الشيء، فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيقول : هذا الذي أوتينا به من قبل ،.. وقال مثل الذي كان بالأمس (127)، فقد أخرج القاضي الفاضل الصورة إخراجًا جديدًا،فشبّه صروف الرّدى الّتي أحاطت بالأعداء بأنواع الثمر الّتي يجنيها أهل الجنّة، للدلالة على ضروب الموت الّتي حلّت بهم، مع اختلاف دلالة(الثّمر) في كلٍّ.

ويستحضر القاضي الفاضل في رسالة إلى قاضي حماة أبي القاسم حسين بن حمزة ، قوله تعالى ((إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (32) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ(33)[128]))، ليصف معركة حاصر فيها المسلمون قلعة من القلاع ، وقد رَمَوْها بالمنجنيق وأمطروها نارًا ، فيقول :" والحائط واقع، والواقعة محيطة، والقلعة سماء تمطرها الأرض بحجارتها، وترمي شياطينَها برجوم قوارير النفط بشرارتها [129] ". فقد عمد القاضي الفاضل إلى إبداع حركة عكسية جعلت الأرض تمطر السماء، مخالفا بذلك قوانين الطبيعة ومنزاحا عن المشهد المألوف ليخلق لدى المتلقي حالة من الشعور الحسي بموقف المسلمين في المعركة ويثبت به الأقدام ولا سيما أن الزمان زمن حرب، وتتوحد الصورة الشعرية مع البناء الداخلي للنفس، وتبعاً لذلك فإن الأديب يخضع في نتاجه إلى الإسقاط باعتباره السبيل الوحيد إلى الإبداع[130].ثمّ يعضد القاضي الفاضل هذه الصورة بصورة أخرى يستوحيها من القرآن الكريم فيشبه قوارير النفط التي تنهال على القلعة بشرر جهنم الذي وصفه الله بأنه كالقصر العظيم، وكحبال السفن [131]، ونلحظ أن الصور القرآنية التي يستلهمها القاضي الفاضل لا تخلو من الأفعال ، (فالفعل هو الوجه الظاهر لحركة الصورة ومن ثمّ فإن افتقار الصورة للفعل يسلبها دون شك الطاقة على الحركة[132].

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة الاقتباس القرآني في نماذج من رسائل القاضي الفاضل ، وبينت الدراسة أن القرآن الكريم بمعانيه وأساليبه وقصصه وصوره كان نصا مرجعيا اتكأ عليه القاضي الفاضل في التعبير عن أفكاره ومشاعره وصياغة تعابيره وبناء كثير من صوره . وقد تنوعت مظاهر الاقتباس القرآني في رسائل القاضي الفاضل، فهو أحيانا يقتبس الآية القرآنية كما هي ويدمجها في سياق نثره وأحيانا يتصرف في الآية القرآنية، ويحلّ نظمها بما يتلاءم والمعنى الذي يريد التعبير عنه وصياغة رسالته ويجعلها بذلك جزءا من كلامه مع بقاء بعض الألفاظ الدالة على الآية القرآنية. كذلك فقد استوحى الفاضل القصص القرآني ووظفه في رسائله لتأكيد دلالاتها وتوثيقها أو لتوسيع الدلالة وتعميمها أو حصرها وتقييدها. وكان القرآن الكريم مصدرا رئيسا من مصادر الصورة في رسائل الفاضل فاستلهم كثيرا منها ، وأمده القرآن الكريم بعدد كبير من الصور التي تفنن في الإفادة منها في توليد صور طريفة تبدو جديدة أو كالجديدة. وحمّل هذه الصور معانيه وأفكاره وخلجات نفسه. وقد أدى الاقتباس القرآني في رسائل الفاضل وظائف فنيه متعددة من أهمها الوظيفة البيانية؛ حيث قوّى هذا الاقتباس الجانب الوصفي في رسائله كما أثرى الجانب الإيقاعي عن طريق محاكاة الفواصل القرآنية، وبناء العبارة الفاضليّة على الازدواج، كما أثرى الاقتباس الجانب الدلالي في هذه الرسائل عن طريق الإيحاء؛ فاستيعاب الدلالة في النص الذي يرد فيه الاقتباس يعتمد على معرفة السياق الأصلي للنص المقتبس ، وهو سياق غائب يستحضره القارئ في أثناء عملية القراءة.وكان الفاضل في اقتباسه بمظاهره المتعددة يوائم مواءمة دقيقة بين ما يقتبسه من آي الذكر الحكيم بحيث تبدو الآيات القرآنية المقتبسة مستقرة في مكانها متشجرة في السياق النثريّ.

الحواشي والتعليقات:

[1]– ضياء الدين بن الأثير ابن أبي الحديد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّمه وعلّق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة ج1 :61، دار نهضة مصر للطبع والنّشر، القاهرة.

[2]–المثل السائر ج1:16

[3]–المثل السائر ج1: 135

[4]–شهاب الدين بن عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، مج 4:474، مؤسسة الرسالة، ط1،بيروت،1997.

[5]– نجم الدين أبي محمد عمارة بن الحسن الحكمي اليمني، النكت العصرية في اخبار الوزراء المصرية، تحقيق هرويغ درنبرغ، مطبعةمارسو،1897.

[6]–العماد الأصفهاني الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء مصر، تحقيق أحمد أمين،شوقي ضيف، 1: 36 مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، مصورة من طبعة 1951،القاهرة.

[7]– جمال الدين أبي المحاسن بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملك مصر والقاهرة، ج6: 156 نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية

[8]– النجوم الزاهرة 6: 157

[9]– ضياء الدين بن الأثير، الوشي المرقوم، تحقيق يحي عبد العظيم، ص 181، الهيئة العامّة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004.

[10]–الرازي فخر الدين أبوعبد الله محجمد بن عمر، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص 232، دار الجيل، ط4،بيروت، 1972 .

[11]–الدكتور شفيق الرقب، التأثر بالبيان القرآني في الشعر العربي في مصر والشام زمن الحروب الصليبية، كلية دار العلوم، العدد 77، 2015، بتصرف.

[12]–انظر رسائل القاضي الفاضل السياسية، تحقيق ودراسة معالي عبد السلام الحلبي، إشراف د. سامي حمدان أبو زهري، ص39، رسائل القاضي الفاضل،2013، الجامعة الإسلامية، غزة .

[13]–الأنبياء: 105

[14]–وقد تكرر اقتباسه لهذه الآية في رسالة أخرى كتبها إلى الديوان العزيز ببغداد في ذكر الفتوح على يد ابن البوسنجي سنة 583، انظر مجير الدين البيساني، رسائل القاضي الفاضل، تحقيق الدكتور علي نجم عيسى، ص 234 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2005 .

[15]–يس: 58

[16]–يس: 55

[17]–لواقعة: 89

[18]–رسائل القاضي الفاضل السياسية، ص40

[19]–الأنفال: 42

[20]– رسائل القاضي الفاضل السياسية، ص42

[21]– ورد في الأصل "حَسَن" ولعلّ الصواب ما أثبتناه

[22]–هود: 42

[23]–رسائل القاضي الفاضل، ص 235

[24]–نوح :26

[25]-رسائل القاضي الفاضل، ص 235
[26]-الحاقة: 7
[27]-رسائل القاضي الفاضل، ص237
[28]-الأحزاب: 21
[29]- رسائل القاضي الفاضل السياسية، ص48
[30]-آل عمران: 159
[31]-رسائل القاضي الفاضل السياسية، ص 196
[32]-النحل:21
[33]-رسائل القاضي الفاضل السياسية، ص 173
[34]-انظر الرسالة ص174غزة
[35]-الجنّ: 9
[36]-رسائل القاضي الفاضل السياسية، ص 174
[37]- رسائل القاضي الفاضل السياسية، ص 174
[38]-رسائل القاضي الفاضل السياسية، ص174
[39]-الإسراء : 37
[40]- رسائل القاضي الفاضل السياسية، ص 198
[41]-آل: عمران73-74
[42]-الرسائل: 48
[43]-غافر:39
[44]-رسائل القاضي الفاضل :49
[45]-رسائل القاضي الفاضل: 51
[46]-رسائل القاضي الفاضل: 51
[47]-ص: 51
[48]-لقمان:33
[49]-الأعراف: 25
[50]-الأعراف: 54
[51]-رسائل القاضي الفاضل، ص241
[52]-النحل: 16
[53]-الإسراء:81
[54]-الحاقة: 18
[55]-رسائل القاضي الفاضل، ص242
[56]-الحاقة: 8
[57]- رسائل القاضي الفاضل، ص 152
[58]- رسائل القاضي الفاضل، ص 152
[59]-البقرة: 187

[60]-الأعراف: 201

[61]-رسائل القاضي الفاضل، ص152

[62]-التوبة: 16

[63]- رسائل القاضي الفاضل، ص155

[64]-الحشر: 14

[65]-الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع، العراق والمشرق الإسلامي، أطروحة ماجستير، تقدم بها غانم جواد رضا الحسن، إلى مجلس كلية الآدابفي جامعة بغداد لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، بإشراف الأستاذ الدكتور يونس أحمد السامرائي، 2005م ، ص 199 .

[66]-رسائل القاضي الفاضل، ص 41

[67]-سورة طه: 71

[68]-رسائل القاضي الفاضل، ص 93-94

[69]-رسائل القاضي الفاضل، ص 102-103

[70] - محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرايةمن علم التفسير ، تحقيق الشيخ سمير خالد رجب 3: 398 دار إحياء التراث العربي ،ط1،بيروت، 1998.

[71]-رسائل القاضي الفاضل، ص 123

[72]-بلد بين دمشق وساحل البحر، وكان الفرنج عمّروه وبنوا فيه حصنا حصينا،انظر: شهاب الدين أبي عبد الله الحموي، معجم البلدان 519/1، دار صادر، بيروت ط2، 1995.

[73]-رسائل القاضي الفاضل، ص 133

[74]-كان الفرنج قد بنوا حصنا منيعا يقارب بانياس، عند بيت يعقوب عليه السلام بمكان يعرف بمخاضة الأحزان، فلما سمع صلاح الدين بذلك سار من دمشق إلى بانياس وأقام بها وبثّ الغارات على بلاد الفرنج. انظر الشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن الشيباني المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، 11/ 455، دار صادر ، بيروت .

[75]-في الأصل سنينه، ولعلّ الصواب ما أثبتناه

[76]-رسائل القاضي الفاضل، ص 136

[77]-سورة هود:42

[78]-رسائل القاضي الفاضل، ص 216

[79]-وهم أهل الموصل يقال لهم المواصلة.انظر: الإمام أبي سعد عبد الكريم السمعاني،الأنساب، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني، ص 425، مكتبة ابن تيمية،القاهرة، ط2 ، 1980.

[80]-رسائل القاضي الفاضل، ص 231

[81]-الحاقة: 7

[82]-رسائل القاضي الفاضل، ص 237

[83]-انظر لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق الشيخ علي معوض والشيخ عادل عبد الموجود ، مج6: 299 ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت : 1997 .

[84]-الكهف: 79

[85]-رسائل القاضي الفاضل، ص 263-264

[86]-الأعراف: 143

[87]-رسائل القاضي الفاضل، ص 279

[88]–انظر: شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربيّ، ص372 دار المعارف، القاهرة، ط10، 1983،

[89]– قتل صلاح الدين رجلا من أهل الإسكندرية يقال له قديد القفاجي، كان قد افتتن به الناس، وجعلوا له جزءا من أكسابهم، حتى النساء من أموالهن، فأحيط به فأراد القفاجي الخلاص ولات حين مناص، فقتل أسوة فيمن سلف. انظر أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق الشيخ علي معوض ، والشيخ عادل عبد الموجود ، مج 6 : 246 ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ، 1997 .

[90]–رسائل القاضي الفاضل، ص 43

[91]–الزّمر:23

[92]–البقرة: 74

[93]– أبو القاسم محمود الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، ،تحقيق عبد الرزاق المهدي، ج1 : 183 دار إحياء التراث العربي، ط2، بيروت ، لبنان، 2001 .

[94]–رسائل القاضي الفاضل، ص 89

[95]–الفرقان: 44

[96]–فتح القدير ج4 : 85

[97]–رسائل القاضي الفاضل، ص91

[98]–ق: 50

[99]–النمل :88

[100]–رسائل القاضي الفاضل، ص 149

[101]–النمل: 88

[102]–النور: 39

[103]–رسائل القاضي الفاضل، ص 216

[104]–الشعراء: 201 ، الحجر : 88

[105]–رسائل القاضي الفاضل، ص188

[106]–الشعراء: 201، الحجر: 88 ، الإسراء : 24

[107]– أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصار ي، الخزرجي القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري، 10:57 ، دار عالم الكتب ، الرياض، 2003 .

[108]رسائل القاضي الفاضل، ص 97

[109]–النور :40

[110]–النور: 35

[111]–الرحمن:24

[112]–النور: 5

[113]–رسائل القاضي الفاضل، ص 234

[114]– يقول ابن العديم: " فقد جهزوا بطسا متعددة لمحاصرة البرج وهو على باب ميناء عكة ، فجعلوا صواري البطس برجا وملؤوها حطبا ونفطا، وجعلوا على أنهم يسيرون بالبطس ، فإذا قاربت برج الذبان ولاصقته ، أحرقوا البرج الذي على الصاري ، وألصقوه ببرج الذبان ، ولكن الهواء انعكس عليهم فاحترقت البطسة وهلك من كان فيها واحترقت البطسة الثانية وأخذها المسلمون ، وانقلبت الثالثة التي عليها القبو بمن فيها .انظر الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد ابن أبي جرادة ، زبدة حلب من تاريخ حلب ، تحقيق الاستاذ الدكتور سهيل زكار ، ج2: 592 ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، دمشق 1997 .

[115]– ذباب السيف: حد طرفه الذي بين شفرتيه، ابن منظور، لسان العرب، مج6:17، دار صادر، ط1، بيروت ، 2000 .

[116]–الحج: 73

[117]–رسائل القاضي الفاضل، ص 256

[118]–أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، تحقيق إسلام منصور عبيد الحميد وآخرون، مج8 : 248 ، دار الحديث ، القاهرة ، 2010 .

[119]–الكهف :45

[120]–رسائل القاضي الفاضل، ص266

[121]–الملك: 5

[122]–منصور بن نصر بن الحسين صاحب المخزن للخلفاء ونائب الوزارة، نال من الوجاهة والرياسة ما لم يناله غيره من أطباقه، النجوم الزاهرة ج6: 85 .

[123]–رسائل القاضي الفاضل، ص140

[124]–رسائل القاضي الفاضل، ص306

[125]–الملك: 5

[126]–البقرة: 25

[127]- انظر :إسماعيل بن عمر بن كثير ، المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ، إشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري ،ص 51 ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، 2013 .

[128]–المرسلات الآيتين 23-33

[129]–رسائل القاضي الفاضل، ص 294

[130]–خالد علي حسن الغزالي، أنماط الصورة والدلالة النفسية في الشعر العربي الحديث في اليمن مجلة جامعة دمشق–المجلد 27–العدد الأول+الثاني ص263، 2011

[131]–انظر تفسير المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص 1525 .

[132]–يوسف الصائغ، الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى 1958 ، ص183 مطبعة الأديب البغدادية ،بغدد 1978.